السنن الإلهية

حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم

أ.د. ذو الكفل بن الحاج محمد يوسف بن الحاج إسماعيل*

الأستاذ بقسم القرآن والحديث بأكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة ملايا، كوالالمبور– ماليزيا

---

* من مواليد عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م بمدينة كوتا بهارو بماليزيا.

- تخرج من كلية أصول الدين بجامعة ملايا بمدينة كوالالمبور عام ١٤٠٨هـ، ثم نال شهادة الماجستير من قسم القرآن والحديث بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية عام ١٤١٤هـ بأطروحته: "**في مناسبات سور القرآن الكريم**"، كما نال شهادة الدكتوراه من جامعة ويلز البريطانية عام ١٤٢٢هـ بأطروحته: "**الصنهاجي ومناهجه في تفسير القرآن الكريم**".
- من كتبه وبحوثه المحكمة المنشورة: " **مفتاح التعامل مع القرآن الكريم**"، "**تفسير آيات الأحكام**"، و"**تفسير سورة الواقعة**"، "**تكملة تفسير القرآن الحكيم للمؤلف الشيخ الحاج مصطفى عبد الرحمن**".
- البريد الإلكتروني : zulkifliy@yahoo.com

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل موضوع السنن الإلهية؛ فيبين حقيقتها، ومعانيها كما وردت في آيات القرآن الكريم، مع بيان أهمية إدراك السنن الإلهية في الكون، ومصادر الكشف عنها، وتحديد خصائصها التي تعين على معرفتها والكشف عنها ، فضلا عن بيان آثار تلك السنن على الأفراد والمجتمعات. ولتحديد تلك العناصر ومعالجتها، فقد جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

تضمّن **المبحث الأول** تعريف السنة لغة، ومعانيها في آيات القرآن الكريم، وتناول **المبحث الثّاني** أهمية إدراك السنن الإلهية، ومصادر الكشف عنها وخصائصها، وأخيرا كانت **الخاتمة** بما تضمنته من نتائج البحث

المقدّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبأمره تسيّر الأمور إلى أحسن المآلات ، ووفق سننه في أرضه تقدر المصائر والغايات، وأصلي وأسلم على من بعثه الله معلما وهاديا للخلق أجمعين، وبعد:

فإنّ التأمّل في سنن الله في الكون والتّدبر فيها يدعو المسلم إلى حسن الاستفادة منها في تجنّب غضب الله ونزول عقابه، وفيه حفظ كيان الأمة من الاضطراب والفناء فضلا عن رفعة شأنها، ودوام عزّها وكرامتها، وفيه اعتبار بمصائر السابقين لمعصيتهم وكبائرهم، وما حاق بهم من السقوط والفناء لمخالفتهم سنن الله الثّابتة التي لا تتبدّل ولا تتغيّر.

وإنّ إدراك السّنن الإلهية يقود إلى اليقين بأنّ للعالم الإنساني نظاماً ثابتا، وسننا محدّدة، وفقه تلك السنن يقود إلى الإيمان بوجود غاية من وراء خلق هذا الكون وتسخيره للإنسان، وتبرز أهمية إدراك السنن الإلهية في حركة المجتمع في الاعتبار بمصائر السابقين؛ مما يؤدي إلى الحركة باطمئنان واتزان في الحياة، مع إدراك أهمية العلم بالمعروف والمنكر، وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بها.

والفقه بالسنن الإلهية يعطي القدرة على التساير مع إرادة الله في أرضه، والتعايش فيها، وحسن القيام بأمانة الاستخلاف فيها وعمارتها؛ وذلك باستقراء السنن الإلهية وحسن فقهها.

المبحث الأول

تعريف السُّنّة لغة، ومعانيها في القرآن الكريم

معنى السُّنَّة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللّغة: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْت الماء على وجهي أَسُنّه سَنًّا، إذا أرسلته إرسالاً. ومنه اشتقت السُّنَّة بمعنى السيرة، وسُنّة رسول الله ﷺ أي: سيرته، وإنما سميت بذلك لأنها تجري جرياً. ومن ذلك قولهم: امض على سَنَنِك وسُنَنِك أي وجهك. وجاءت الريح سَنَائِن: إذا جاءت على طريقة واحدة(١).

أما ابن منظور فيقول(٢):« سنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، سنها الله للناس أي بينها، وسن الله سنة أي بيّن طريقاً قويماً، قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ﴾ [الأحزاب:٣٨] ، أي سن الله ذلك في الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا بهم أن يُقتّلوا أينما ثقفوا. وفي التنزيل: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[الكهف:٥٥]» . وفي المفردات للراغب الأصفهاني: « السُّنَن جمع سُنّة، وسُنّة الوجه طريقته، وسُنّة النّبيّ ﷺ طريقته التي كان يتحرّاها،

---

(١) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ٣/ ٦٠-٦١.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ،١٣/ ٢٢٥-٢٢٦.

وسنّة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾[الفتح:٢٣]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾[فاطر:٤٣]، فتنبيه أن فروع الشريعة وإن اختلفت صورها، فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل، وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره»(١).

ومن المعاني السابقة نستطيع أن نقول إن معنى السنة اللغوي يفيد جريان الشيءِ أو الحكمِ أو التصرفِ على طريقة واحدة معتادة، ويمكن القول أن المعنى اللغوي لسنة الله يأتي على وجهين:

الأول: طريقة حكمة الله تعالى في مجازاته لخلقه؛ حيث تجري على وجه واحد من العدل والجزاء بجنس العمل.

الثاني: طريقة طاعة الخلق لله تعالى بمقتضى أمره ونهيه، وهي طريقة جارية في الأمم كلها؛ حيث إن أصولها ثابتة تقوم على توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبودية. ونجد أن آيات القرآن الكريم التي وردت فيها سنة الله لا تخرج عن أحد هذين المعنيين كما ذكر أئمة التفسير.

مفهوم السّنّة ومعانيها في القرآن الكريم

وردت لفظة "سنة" أو إحدى مشتقاتها ست عشرة مرة في إحدى عشرة آية من الكتاب العزيز. فوردت بلفظ (سنن، سنتنا، سنة الله، سنة الأولين، سنن الذين

---

(١) الأصفهاني، حسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د. ط. ت)، ص٢٤٥.

من قبلكم، سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا). ومن استقراء الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها كلمة السنة أو إحدى مشتقاتها من حيث المعنى المراد منها، يمكن تقسيم السّنّة إلى قسمين:

القسم الأول: سنة الأنبياء السابقين وشرائعهم ومناهجهم، وسنة الصالحين من الأمم السابقة في التحليل والتحريم، وقد ورد هذا المعنى في الآيتين الآيتين:

١. قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء:٢٦]. يقول الإمام الطبري في تأويل هذه الآية ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾:« وليسددكم سنن الذين من قبلكم: يعني سبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه ومناهجهم فيما حرم عليكم من نكاح الأمهات... »⁽¹⁾، ويقول ابن كثير:«﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني طرائقهم الحميدة، واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها »⁽²⁾.

٢. قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله، لم يكن

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٧م)، ٤/ ١٠٠.

(٢) ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، صحح بإشراف فضيلة الشيخ خليل الميس، (بيروت: دار القلم، ط٢، د. ت)، ١/ ٤٨٠.

ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج»(١). وفي فتح القدير: "سنة الله في الذين خلوا من قبل أي إن هذا هو السنن الأقدم في الأنبياء والأمم الماضية أن ينالوا ما أحله الله لهم من أمر النكاح وغيره"(٢).

القسم الثّاني: سنة الله في إهلاك المكذبين ونصر رسله وأوليائه والمؤمنين، وقد ورد هذا المعنى في الآيات التسع المتبقية الواردة في القرآن الكريم.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[آل عمران:١٣٧]. ونلاحظ عند مراجعة تفسير الآيات الواردة في المعنى الثاني أن المفسرين قد أسهبوا في شرح معنى السنة وتعدد معانيها عند تفسيرهم لهذه الآية؛ وذلك جرياً على عادتهم في تفسير الكلمة في المرة الأولى، ثم الإحالة عليها في حال تكرارها، فضلا عن أنّها وردت نكرة عامة "سنن" دون إضافة إلى أي شيء، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[آل عمران:١٣٧]، وقد اختلفت أقوال المفسرين واجتهاداتهم في تفسيرها، وفيما يأتي أهمها:

١. الوقائع(٣)، بمعنى أنها أحداث الأمم السابقة والأقوام السالفة، قال

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٩٣.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، ٤/ ٢٨٥.

(٣) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٤/ ١٠، البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، معالم =

الطبري: «أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي، والشّرك في عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فسيروا في الأرض تروا مثلات قد مضت فيهم»(١).

٢. الشرائع والأديان(٢)، جاء في روح المعاني(٣):« وقال عطاء: المراد بها الشرائع والأديان، فالمعنى قد مضت من قبلكم سنن وأديان نسخت »، وقد عقب الألوسي على هذا الرأي بقوله: « ولا يخفى أن الأول أنسب بالمقام » ، والرأي الأول الذي ذكره هو أنها "وقائع الله في الأمم المكذبة أجراها الله على حسب عادته".

٣. الطريقة المتبعة(٤)، قال البغوي: « والسنة هي: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سَنّ فلان سُنّة حسنة وسنّة سيِّئة إذا عمل عملاً اقتُدي به فيه من خير وشر »(٥).

=التنزيل، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٣/ ٤٥، الشوكاني: فتح القدير، ١/ ٣٨٣، البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (بيروت: دار الفكر، د. ط. ت)، ٢/ ٩٥، الألوسي، محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ٤/ ٦٥.

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤/ ٦٥.

(٢) البغوي: معالم التنزيل، ١/ ٣٥٤، الألوسي: روح المعاني، ٤/ ٦٥.

(٣) الألوسي: روح المعاني، ٤/ ٦٥.

(٤) البغوي: معالم التنزيل، ١/ ٣٥٤، الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (بيروت: مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، د. ط. ت)، ٢/ ٣١٤.

(٥) البغوي: معالم التنزيل، ١/ ٣٥٤.

٤. الطريقة المستقيمة(١)، قال القرطبي: « والسّنن جمع سُنّة وهي الطريقة المستقيمة، وفلان على السُّنَّة أي على طريق الاستواء، لا يميل إلى شيء من الأهواء، قال الهذلي:

فلا تجزعن من سنَّة أنت سرتها   فأوّل راضٍ سنّةً من يسيرها» (٢)

٥. الإمام المتبع المؤتم به، جاء في تفسير الطبرى عن قتادة: "وأما السنن فإنها جمع سنة، والسنة هي المثال المتبع والإمام المؤتم به، يقال منه سن فلان فينا سنة حسنة وسن سنة سيئة إذا عمل عملاً اتُّبع عليه من خير وشر، ومنه قول لبيد بن ربيعة:

من معشر سنت لهم آباؤهم   ولكل قوم سنّةٌ وإمامها

وقول سليمان بن قنة:

وإن الألى بالطّف من آل هاشم   تآسوا فسنّوا للكرام التّآسيا"(٣)

الآية الثانية: قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال:٣٨] ، فقد فسرها الألوسي هنا بأنها "عادة الله الجارية في الذين تحزبوا على الأنبياء، عليهم الصلاة

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٩٩٣م)، ٤/ ٢١٦، الشوكاني: فتح القدير، ١/ ٣٨٣.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢١٦.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤/ ١٠٠، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢١٦، الشوكاني: فتح القدير، ١/ ٣٨٤.

والسلام ، من نصر المؤمنين عليهم وخذلانهم وتدميرهم"(١). أما بقية المفسرين فذكروا أنها سنة الله دون ذكر معنى محدد لها في هذا الموضع.

الآية الثالثة: قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (١٢) لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر:١٣،١٢]، ذكر المفسرون لها المعنيين الآتيين:

أ. الوقائع(٢)، جاء في تفسير الطبري عن قتادة: "وقد خلت سنة الأولين: وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم"(٣).

ب. الطريقة(٤)، قال أبو السعود: « وقد خلت سنة الأولين: أي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء »(٥).

الآية الرابعة: قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٦، ٧٧] ، والخامسة: قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ

---

(١) الألوسي، محمد بن عبد الله: روح المعاني، (المكتبة الشاملة)، ٩/ ٢٠٦.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٤/ ١٠، البغوي: معالم التنزيل، ٣/ ٤٥.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٤/ ١٠.

(٤) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (المكتبة الشاملة)، ٥/ ٧٠، الشوكاني: فتح القدير، ٣/ ١٢٣، الألوسي: روح المعاني، ١٤/ ١٩.

(٥) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٥/ ٧٠.

ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف:٥٥] ، والسادسة: قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٦١-٦٢] ، والسابعة: قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣] ، والثامنة: قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح:٢٢-٢٣] ، وقد ذكر المفسرون معنى السنة في هذه الآيات بعبارات متقاربة، وهي: الطريقة والعادة(١).

الآية التاسعة: قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[غافر:٨٥] ، قال ابن كثير: « أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يُقبل» (٢).

وبنظرة متفحصة شاملة إلى ما ذكره المفسرون من معنى السنة في القرآن الكريم، نجد أن أكثر المعاني انطباقاً على معظم الآيات هو: (الطريقة المتبعة والعادة

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ٣٦٠، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٥٤، ٤/ ١٩٣، الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٣/ ٢٦١، ٤/ ١٧٨، الشوكاني: فتح القدير، ٣/ ٢٤٨، ٥/ ٥١.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ٤/ ٩٠.

الجارية)، خصوصاً بالنسبة للآيات التي تتحدث عن النظر في مصارع السابقين وأحوالهم، وما حل بهم من بأس الله نكالاً بما كسبت أيديهم، وهذا المعنى هو الأقرب إلى المعنى الذي ذكرته المعاجم العربية كما مَرّ سابقاً، وهو المعنى الذي نقصده في هذا البحث.

أما المعاني الأخرى فإنها صحيحة في سياق بعض الآيات دون بعض، فالقول بأن "السنة" تعني "الأمة" يصدق على قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٧] فيمكن تفسيرها بأنه قد مضت أمم مكذِّبة حاق بها العذاب فانظروا في عاقبة تكذيبها، ولكن هذا المعنى لا ينطبق على بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح:٢٣]، أو ﴿ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(١)، أو ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾[الإسراء:٧٧] ، أو ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣] .

والقول بأنها الشرائع والأديان إنما يناسب تفسير الآيتين اللتين ذكرناهما في الحديث عن سنّة الأنبياء السابقين وشرائعهم ومناهجهم، وسنة الصالحين من الأمم السابقة في التحليل والتحريم، بينما لا يناسب هذا المعنى أن يكون تفسيراً لبقية الآيات. ولعل تفسيرها بالقوانين الإلهية أو النواميس المودعة في الكون هو الأولى بالأخذ في تفسيرها في معظم المواضع التي وردت فيها السنن.

وبذلك نخلص إلى أنّ سنّة الله التي سيتمحور عليها الحديث في هذا البحث

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٨، سورة الحجر، الآية ١٣، سورة الكهف، الآية ٥٥، سورة فاطر، الآية ٤٣.

إنما هي سنة الله بمعنى عادته الجارية وطريقته المتبعة في معاملة عباده ومجازاتهم بالعدل، والتي يمكن أن يطلق عليها أنها قانون إلهي رباني، لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحول بتغير الأمم والأزمان والأحوال وتبدلها وتحولها؛ لأن ثباتها نابع من عدل الله سبحانه وتعالى في ترتيب الجزاء على جنس العمل.

ونلاحظ في الآيات التي وردت فيها كلمة السنة أنها أضيفت في بعضها إلى الله، وفي بعضها إلى الرسل السابقين، وفي بعضها إلى الأولين، فهل هي سنة الله أو سنة الرسل أو سنة الأولين؟ هي سنة الله تعالى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣] ، وإنما أضيفت إلى الرسل أو الأولين لأنها سُنَّتْ لأجلهم(١)، أو باعتبار جريانها على أيديهم، فهي تضاف إليهم لما بينهما من الملابسة الظاهرة (٢) ، فالإضافة لأدنى ملابسة أو مناسبة. قال القرطبي(٣) : « وأضافها إلى الله عز وجل، وقال في موضع آخر: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾[الإسراء:٧٧] فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين، وهو كالأجل تارة يضاف إلى الله وتارة إلى القوم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت:٥] ، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾(٤).

---

(١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣/ ٤٦١، أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٥/ ١٨٩، الألوسي: روح المعاني، ١٥/ ١٣١.

(٢) الألوسي: روح المعاني، ٩/ ٢٠٦.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ٣٦٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٣٤، سورة النحل، الآية ٦١، سورة فاطر، الآية ٤٥.

المبحث الثاني

أهمية إدراك السنن الإلهية ، ومصادر الكشف عنها وخصائصها

أهمية إدراك السنن الإلهية :

زخر كتاب الله عز وجل بالحديث عن السنن في مواطن عديدة، وأبرزها بصورة تدعو المسلم المتدبر لكتاب الله تعالى والمتأمل لمعانيه إلى البحث عن أسرار هذه السنن، وإدراكها بوجه يؤدي إلى حسن الاستفادة منها في أداء طاعة الله تعالى ، وفي تحمل مسؤولياته للقيام بعمارة الأرض بموجب نظرية الاستخلاف. وما كان هذا التأكيد على هذه السنن وخصائصها إلا لأهمية إدراكها والتعامل السليم معها في حياة الفرد والأمة المسلمة.

إن ورود كل آية وكل كلمة بل وكل حرف في الكتاب العزيز له حكمة بالغة وشأن عظيم، وليس عبثاً أن يتم التأكيد على بعض المشاهد والأحداث، أو أن تتكرر بعض المعاني أو الموضوعات أو القصص بصيغ مختلفة في القرآن الكريم. إن القرآن المنزه عن الاختلاف والعبث؛ لأنه من عند الله، ليوحي بحكم ربانية جليلة وراء هذه الإشارات واللفتات، تدعو المسلم إلى مزيد من التأمل والتدبر والبحث، ومحاولة الكشف عن عجائب هذا الكتاب الحكيم وأسراره. فمن فوائد التأمل في السنن الإلهية وإدراكها ما يأتي:

١. إدراك السنن الإلهية عامل مهم وركيزة أساسية في حفظ كيان الأمة من الاضطراب والفناء، وأساس في رفعة شأنها ودوام عزها وكرامتها.

"فقد أرشدنا الله في محكم آياته إلى أن الأمم ما سقطت من عرش عزها، ولا بادت ومُحي اسمها من لوح الوجود، إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها الله

على أساس الحكمة البالغة. إن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة حتى يغير أولئك القوم ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر وإشراق البصيرة والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدمار ثم الفناء لعدولهم عن سنة العدل، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة"⁽¹⁾.

إن النظر في سنن الله في ارتفاع الأمم وسقوطها ومآلات أفعالها والتبصر فيها، وإدراك ذلك على الوجه الذي ينبغي، لهو خير معين في توجيه السلوك الإيجابي وتحسين التصرف للأمة نحو العزة والرفعة والكرامة، "فالأمة التي كُتِبَ لها النجاة من علل الاجتماع أو الشفاء منها عند الالتياث بها، تتعرف تلك السنن، وتطبق أعمالها عليها، والأمة التي قُدِّر عليها الاضطراب أو الفناء تغبى عن هذه السنن، وتجري من أعمالها على غير هدى"⁽²⁾. وإن معاندة سنن الله تعالى المطردة، ومحاولة القفز فوق هذه السنن وعدم مراعاتها، يعني سلوك الأمة طريق التقهقر، ومزيداً من السقوط والارتكاس، أو ما يمكن أن يسمى بالعمى الحضاري⁽³⁾.

---

(1) الأفغاني، جمال الدين، عبده، محمد: العروة الوثقى، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط. ت)، ١٧١-١٧١.

(2) وجدي، محمد فريد: مهمة الدين الإسلامي في العالم: دعوته إلى تعرف السنن الإلهية في الجماعات البشرية، مجلة الأزهر، (القاهرة: مطبعة الأزهر، السنة السادسة، الجزء الخامس، ١٣٥٤هـ)، ص٢٩٨.

(3) حسنة، عمر عبيد: حتى يتحقق الشهود الحضاري، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٧٦.

٢. إدراك السنن الإلهية يقود إلى اليقين بأن "للعالم الإنساني نظاماً مقرراً، وقانوناً مقدراً، لا تستطيع أن تعدوه الأمم دون أن تصاب بما يستتبعه عدوانها من المثلات، وما يجره من الانحرافات جزاء وفاقاً"(١). فإن سنن الله تعالى تؤكد ترتب النتائج على المقدمات، وارتباط الأسباب بالمسببات، ومجازاة العباد بما كسبت أيديهم. وإدراك وجود هذا النظام المقرر والقانون المقدر يدعو الأمة التي تسعى إلى حفظ كيانها إلى تتبع هذا القانون، وفهم أسراره، والتعرف على مفرداته، بما يؤدي إلى سلوكها أرشد السبل وأقوم الطرق في حياتها.

إن الفهم الدقيق لأسرار أي أمر أو مادة أو علم هو السبيل إلى حسن الاستخدام، وإلى الفوز بأكبر قدر من المنفعة المختزنة فيه، والنجاة من أصغر آفة تكمن فيه، وكذلك الكون وما خلق الله فيه، والنفس البشرية. لقد أودع الله هذا الكون قانوناً ونواميس تحكمه وتحكم حركة البشر فيه، وأرشد إلى هذه السنن والقوانين في محكم كتابه وفي حركة البشرية. والسعيد من وعى هذا النظام وفهم مداخله ومخارجه، وسننه وأسراره، وآمن به حق الإيمان، ثم عمل بمقتضى هذا الوعي والإيمان، والشقي من تنكب الطريق، وأتبع نفسه هواها، وسار على غير هدى.

٣. فقه السنن الإلهية يقود إلى الإيمان بوجود غاية من وراء خلق هذا الكون وتسخيره للإنسان، فإن وجود قوانين تحكم سير الجماعات البشرية بضبط ودقة وانتظام، دليل على وجود غاية من وراء خلق هذا الكون واستخلاف الإنسان فيه،

---

(١) وجدي: مهمة الدين الإسلامي في العالم، ص٢٩٨.

كما أنه دليل على انتفاء العبثية في الكون والخلق بأكمله.

إن حركة أية جماعة بشرية في التاريخ ليست اعتباطية، بل هي مسؤولة مسؤولية كاملة عن نتائج حركتها، وتبعات تصرفاتها، وهي مدعوة إلى القيام بعمل مدرك مخطط، يقف به الإنسان أمام الله بمسؤولية اتجاه إعمار الكون ورقيه وتقدمه، سيراً على هدي الله الذي جاء به الأنبياء(١)."ولولا هذه السنن وذلك الانتظام لكانت الحياة نوعا من العبث، وصوراً من اللعب والانفلات وانعدام الأهداف، ولكانت المصادفة والعشوائية هي التي تسود الحياة، ولما كان هناك ميزة ولا معنى لعقل العقلاء، ورسالات الأنبياء، ونصب الشرائع والقوانين التي تنظم مسالك الناس، ولما كان هناك فرق بين فعل الخير وثمراته، ومسلك الشر وعقابيله، ولا بين الصراط المستقيم والسبل المتفرقة التي تضل الناس وتصل بهم إلى التيه"(٢).

٤. وتبرز أهمية إدراك السنن الإلهية في حركة المجتمع في الاعتبار بمصائر السابقين وهفواتهم، وما حاق بهم من السقوط أو الفناء بما كسبت أيديهم، مخالفين سنن الله الثابتة التي لا تحابي أحداً ولا تتغير ولا تتبدل. ولقد عقب الله سبحانه وتعالى على قصة إجلاء بني النضير وما حل بهم بدعوة أولي الأبصار للاعتبار بذلك المصير، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:٢] .واعتبار أولي الأبصار

---

(١) خليل، عماد الدين: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، سلسلة كتاب الأمة ٤، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤٠٢هـ)، ص٥٣.

(٢) حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص٧٤.

يعني الدراسة الواعية الحثيثة لأحوال الحضارات السابقة، والأمم البائدة، واكتشاف مواطن الخلل والانحراف عن منهج الله، ومن ثَمَّ تفادي تلك المنعطفات والتصرفات فيما تستقبل الأمة من قرارات وخطوات، فالرسول ﷺ يقول : ((**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**)) (١). "إذن فكل ما يحل بالمجتمعات من تقدم أو تأخر، وما يحل بالحضارات من تقدم أو نكوص، كل ذلك يقع وفق قواعد وسنن، ذكر القرآن منها الكثير من أجل أن يعتبر المسلمون، فلا يسقطون في الفخ الذي سقط فيه من سبقهم، لذا كان أكثر من ثلث القرآن يتحدث عن الأمم وما جرى لها، وهو يكرر دائماً :﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾"(٢).

إن التكليف بعمارة الأرض، والاجتهاد في حسن أداء أمانة الاستخلاف يعني بذل الجهد لاكتشاف هذه السنن وإدراك الأسباب، وهذا الاكتشاف لا يتأتى إلا من استقراء أحوال الحضارات السابقة في النهوض والركود والملاحظة والمشاهدة والتأمل والمقايسة، ومن ثم حسن التعامل مع السنن "الاعتبار"، والذي ينعكس على إعادة النظر والمراجعة في المقدمات والأسباب، وتجنب الطرق التي كانت وراء

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، د. ط. ت)، ٥٢٩/١٠.

(٢) السامرائي، نعمان عبد الرزاق: في التفسير الإسلامي للتاريخ، (الزرقاء: مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٥م)، ص٣٤. والآية من سورة الحشر، ٢.

انقراض الأمم السابقة(١).

٥. وعي سنن الله تعالى يقود إلى الحركة باطمئنان واتزان في الحياة، فإن تقرير الله سبحانه وتعالى لوجود هذه السنن وثباتها كقوانين لا تتخلف، يوجِد لدى المسلم حس الشعور بالأمن والراحة في حركته وسلوكه، فلا يبقى فريسة للمفاجآت التي لا يمكن التنبؤ بها، "ومن أجل أن نطمئن بيّن لنا القرآن في أكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها وعدم تبدلها أو تحولها، إنها موجودة أساساً في صميم التركيب الكوني، وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم"(٢).

ثم هل يستوي من يعي هذه السنن والقوانين مع من يجهلها؟ كلا، "وفرق كبير بين من يتعامل مع ظواهر تحدّها نواميس ثابتة وضوابط محددة، فهو يتصرف باطمئنان ويتحرك باتزان، يعرف مواطن الثقة ومواطن القلق، ويعلم كيف يصرف إمكانياته، لا يستخفه استعجال، ولا يقعد به ملل واستبطاء للنتائج... وبين من يظن أن الأمر سر لا مطمع في كشفه، وأنه لغز لا يملك الإنسان إلا أن يقف أمامه بحيرة ودهشة وذهول"(٣).

إن الاطمئنان والاتزان الذي ينشأ عن كشف السنن والإيمان بثباتها واطرادها

---

(١) حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص٧٥.

(٢) خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص٥٣.

(٣) أبو منير: سنة الله في نصرة عباده المؤمنين، حضارة الإسلام، (دمشق، السنة التاسعة عشرة، العدد السادس، شعبان ١٣٩٨هـ/ آب ١٩٧٨م)، ص٧٤.

يشكل عاملاً مهماً في حركة الفرد نحو الإصلاح، وفي ممارسة دوره في عمارة الأرض، دون قلق أو وجل يقعد به ويستهلك فكره وطاقته في تحفز وخوف من مصيبة أو كارثة تفجؤه. إنه يعيش بأنس مع نواميس الكون، يؤدي دوره ويرضى بقضاء الله وقدره.

٦. الإيمان بالسنن الإلهية يدفع الأمة إلى العلم بالمعروف والمنكر، وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الفريضة التي حازت بها هذه الأمة درجة الخيرية بين الأمم﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] فقد كانت نتيجة إهمال الأمة هذه الفريضة أن أصابها ما أصابها من ضعف وذلة وتكالب الأعداء عليها، وبذلك فقدت خيريتها بين الأمم.

يقول محمد فريد وجدي معقباً على أهمية هذا العلم والعمل به: « وكان من نتائج هذا العلم أن أصبح المسلمون حريصين على تلمّس هذه السنن من مظانها حرصهم على بقاء وجودهم وسلامة كيانهم، وقد دفع بهم هذا الحرص إلى تحري الصراط السوي في جميع أعمالهم ومعاملاتهم، وقيام بعضهم رقباء على بعض في سِيَرهم وتصرفاتهم، ائتماراً بما رسمه الله لهم بقوله:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ "(١).

---

(١) وجدي: مهمة الدين الإسلامي في العالم، ص٢٩٨. والآية من سورة آل عمران، ١٠٤

ولذلك نشأ ضرب من الرقابة المتبادلة بين الأفراد بعضهم بعضاً، وبين الأمة والهيئة الحاكمة، وذلك لأن أخلاق الآحاد تؤثر في مصير الجماعة وبنيتها قوة وضعفاً(١)، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجلب للمجتمع العقاب، ويحرمه من كثير من الخير، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم**))(٢).

إن وحدة المصير تضع كل فرد في الأمة أمام مسؤولياته في حفظ كيان الأمة، ولذلك يرى من واجبه مقاومة كل ما من شأنه أن يفت في عضدها من الفتن والأمراض الاجتماعية، أو يوهن قواها من الانحراف عن سنن الله ومنهجه، فيتجه إلى الفريضة التي فرضها الله على أفراد الأمة الإسلامية في واجب النصح وتغيير المنكر ومقاومة الفساد.

٧. الفقه بالسنن الإلهية يفسح المجال لاستشراف أحداث المستقبل، وحركة الحياة المستقبلية بناء على المعطيات المتوفرة، وفي ظل السنن المطردة والقوانين الثابتة، شأن ذلك شأن التنبؤ العلمي بالأحداث الكونية. فالإحاطة بقوانين الفلك مثلاً تمكننا من التنبؤ بحدوث كسوف للشمس أو خسوف للقمر، وكذلك الإحاطة بقوانين الاجتماع البشري وقوانين النفس تمكننا على نحو أو آخر من التنبؤ بمصائر

---

(١) المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٢) ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، (د. م. ن. ط. ت)، ٥/ ٣٨٨-٣٨٩.

الأفراد والجماعات، حين نطلع بدرجة من الدقة على مسالك هذه وهؤلاء، وعلى الأفكار التي تسيرهم، والعواطف التي توجههم، والأخلاق التي تصرف أعمالهم، والغايات التي يتجهون نحوها في جهودهم[١]. وأكثر ما يكون ذلك في الأمراض الاجتماعية التي تتفشى في المجتمعات الإنسانية كالظلم والحسد والبغي، والتي تقود لا محالة عاجلاً أم آجلاً - حسب سنة الله- إلى انحلال المجتمع وذله وهوانه.

إن حكم السنن على حركة التاريخ يجيء منطقياً تماماً لأنه أشبه بالجزاء الذي هو من جنس العمل، "حتى لكأن القرآن يلفت أنظارنا إلى أننا نستطيع أن نرتب مجموعة معينة من الوقائع التاريخية سلفاً، نتائجها التي تكاد تكون محتومة لارتباطها الصميم بمقدماتها اعتماداً على استمرارية السنن التاريخية ودوامها"[٢].

٨. القدرة على توقي المفاجآت بناء على معرفة المقدمات، واعتماداً على الدراسة الواعية للأحداث السالفة المماثلة ونتائجها التي ترتبت على اطراد السنن وثباتها بدرجة من الدقة والعدل والثبات، وبذلك يستطيع الإنسان أن يضع البدائل لمواجهة ما يتوقع من أحداث غير إيجابية في محاولة لتخفيف الأضرار والخسائر، وعلى الأقل فإنه لا يكون ضحية لتلك المفاجآت، وفي هذا يقول عمر عبيد حسنة: « إن أي مفاجأة بالنتائج تعني من بعض الوجوه نوعاً من البلاهة، كما تعني عدم إدراك المقدمات »[٣]. ويقول محمد بن صامل السلمي: « وفي إدراكنا للسنن الإلهية

---

[١] شرارة، عبد اللطيف: الفكر التاريخي في الإسلام، (بيروت: دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٣م)، ص٨٩.

[٢] خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص٥٢.

[٣] حسنة، عمر عبيد: من فقه التغير: ملامح من المنهج النبوي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١،=

فوائد عظيمة حتى لو لم نقدر على تفادي حدوثها والنجاة منها، حيث يعطينا هذا الإدراك والمعرفة صلابة في الموقف بخلاف من يجهل مصدر الأحداث، فإن الذي يعلم تكون لديه بصيرة وطمأنينة، أما الذي يجهل فليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق»(١). "والقرآن الكريم لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب، ولكنه يحولها في الوقت نفسه إلى دافع حركي يفرض على الجماعة المؤمنة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الدمار، وأن تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه"(٢).

إن الخلل في عدم التأصيل والتأسيس لعلم السنن من خلال الرؤية القرآنية "هو غياب عن الوعي تطيش معه السهام، وتضل معه العقول، ويقع الإنسان معه فريسة للمفاجآت، والعجز عن التعامل معها؛ لأنه عاجز ابتداء عن فهم المقدمات والأسباب الموصلة لها"(٣).

٩. فقه السنن يعطي القدرة على التغيير والتجديد ومغالبة قدر بقدر، والفرار من قدر إلى قدر، وأن يصبح الإنسان مسايرا لهذه السنن عارفا بقوانينها ونظامها(٤)، وإلا فكيف يمكن لعاقل لا يدرك أن أحداث الكون تسير وفق قانون

=١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٩٣.

(١) السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ص٥٤.

(٢) خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص٥٤.

(٣) حسنة: من فقه التغير، ص٨٩-٩٠.

(٤) انظر: حسنة، عمر عبيد: الشاكلة الثقافية: مساهمة في إعادة البناء، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١،=

رباني أن يضع خططاً أو بدائل، وأن يستغل الإمكانات والوسائل المتاحة لتسخير الكون لخدمته ورفعة الأمة وفق المنهج الذي أراده الله.

إن الفقه بالسنن يدفع الإنسان إلى حسن استخدام الموارد المتوفرة، والمعلومات المتاحة، وما خلق الله وأودع هذا الكون في سبيل الإعمار وأداء الأمانة، فيكون هو العامل المؤثر الفاعل، لا محل الفعل والحركة فقط.

١٠. حسن القيام بأمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وذلك باستقراء السنن الإلهية وحسن فقهها والإفادة منها، فإن "محاولة التعرف على السنن وحسن التعامل معها هو الكفيل بالعودة إلى الموقع المفقود واسترداد الشهادة والقيادة التي نيطت بالأمة المسلمة"(١).

"وبقدر إحراز أية أمة "لفهم أكبر "لتسخير" السنن الكونية" والاستفادة منها، وتطبيق أدق لها، تتبوأ مكانتها على الأرض. وبقدر نقصها في "الفهم" و"العمل بموجبه وتقصيرها في اللحاق بالحقائق الثابتة" ينعكس على سيرها سلباً وإيجاباً"(٢).

ومن حسن الاستخلاف أن يتدبر المسلم القرآن الكريم الذي أرشد إلى هذه

=١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٨٥.

(١) حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص٧٦.

(٢) الوزير، إبراهيم بن علي: على مشارف القرن الخامس عشر الهجري: دراسة للسنن الإلهية والمجتمع المعاصر، (بيروت، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٨.

السنن ويسير وفق منهجه، فهو دستور الخالق لخلقه، وقانون السماء لهداية أهل الأرض، والمنهج الذي رضيه الخالق لعباده في استخلافهم له، وبالمقابل، من سوء الاستخلاف أن يهمل المسلم تدبر القرآن الكريم والسير على منهجه وينصرف إلى المناهج البشرية بحثاً عن العزة والكرامة، ولا يمكن له أن يجدها إلا في منهج الله القويم.

مصادر الكشف عن السّنن الإلهية :

تعرضنا فيما سبق إلى أهمية علم السنن الإلهية، وضرورة دراستها وإدراكها للسير بمقتضاها وعدم تنكبها أو القفز عنها، ولكن من أين نعرف هذه السنن وقوانينها؟ وكيف نكشف عن وجودها وفعاليتها؟ والحديث في هذا مُنصَبّ بشكل أساسي على السنن التاريخية، فإن القرآن الكريم قد كشف عن بعض السنن الطبيعية، وكان ذلك أحد أوجه إعجازه، ثم كشف العلم التجريبي عن كثير من هذه السنن والقوانين، والقرآن الكريم بوصفه كتاب هداية للبشرية ليس من مهمته الكشف عن العلوم الطبيعية بكافة أنواعها وأصنافها وأشكالها، وإنما قد يشير إليها أو إلى بعض تجلياتها، وأما السنن التاريخية فإن الوحي الإلهي وإرشاداته هو المَعين الرئيس للكشف عن هذه السنن. وفيما يأتي بيان لأهم المصادر التي تعين على كشف تلك السنن والإبانة عنها:

١. الوحي الإلهي

ونقصد بالوحي الإلهي القرآن والسنة، فالقرآن الكريم بما اشتمل عليه من قصص الأنبياء السابقين، وسيرتهم مع أقوامهم، وبيان عاقبة كل من المؤمنين

والمكذبين، يعتبر المصدر الأول لهذه السنن، حيث "لم يُعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سنناً ثابتة لا تتبدل ولا تتحول"⁽¹⁾.

وتظهر عناية القرآن بالكشف عن هذه السنن في مجال القصص القرآني الذي يحكي أخبار من سبق، بتأكيد واضح، وبأساليب متعددة على العبر والعظات المستخلصة من منعطفات هذه الأحداث، داعياً أولي الألباب والبصائر إلى سبر غور هذه الوقائع لتبين أسباب الهلاك والبوار.

"لقد قدمت معرفة الوحي في الكتاب والسنة الخلاصات والنماذج المطلوبة من قصص الأنبياء، التي تعدّ منجماً زاخراً بالعبر والدروس، وعطاء لا ينفذ للتدافع والصراع بين الخير والشر، والنتائج والمآلات التي تحققت وفق هذه السنن الإلهية في التاريخ الذي يعتبر المختبر البشري الدقيق لفاعلية هذه السنن"⁽²⁾. والقرآن، فضلا عن أنه أول المصادر للكشف عن هذه السنن، هو أيضاً المختبر الدقيق للكشف عن اطراد هذه السنن وثباتها وفاعليتها في الحياة والأحياء، فهو دلالة صدقها وتحققها في أرض الواقع⁽³⁾.

٢. علم التاريخ

التاريخ علم رئيس في الكشف عن سنن الله تعالى في الحياة والأحياء، إنه

---

(١) رضا: الحق والباطل والقوة، ص٥٥.

(٢) طهماز، عبد الحميد محمود: أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف، (دمشق: دار القلم ، بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٩٤.

(٣) حسنة: الشاكلة الثقافية، ص٨١-٨٢.

السجل المستمر لدورة الحياة، وحركة الأحياء، وتقلبات الزمن، ولقد حرص المسلمون على تدوين تاريخهم منذ فجر الإسلام بكافة تفاصيله من الأحداث الكبرى إلى أدق الجزئيات، وكان ذلك مشفوعاً بالتوثيق العلمي من خلال سلاسل الأسانيد والرواة وطرق الرواية المتعارف عليها كميزة للأمة المحمدية.

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: « فالتاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة اليوم إلى ما هي فيه من سعة العمران وعزة السلطان، وكان القرآن الكريم هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم فيه، وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنة وسيرة السلف هو المرشد الثاني إلى ذلك » (١).

"والتاريخ بما حوى من الحوادث المتشابهة، والمواقف المتماثلة، يساعد على كشف هذه السنن"(٢)، "فالتاريخ هو المختبر الحقيقي في إطار علوم الإنسان، وهو الأب الشرعي لكل العلوم الاجتماعية، التي لا بد من الإحاطة بها، والرسوخ فيها، ومعرفة قوانينها وسننها التي تحدد المداخل الصحيحة للشهادة على الناس، وتقود إلى صناعة تاريخية مستقبلية علمية، بعيدة عن التنبؤ والظن والتخرص"(٣).

٣. السّير في الأرض والنّظر في مصائر الأمم السّابقة

يأتي هذا المصدر للكشف عن السنن الإلهية من دعوة القرآن الكريم المتكررة

---

(١) رضا: تفسير القرآن الحكيم، ١/ ٣١١.

(٢) السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ص٥٤.

(٣) حسنة: الشاكلة الثقافية، ص٨٢.

للسير في الأرض، ودراسة أحوال الأمم السابقة ومصائرها ومصارعها، والاعتبار بما جرى لهم من حالات القوة والضعف، والنصر والهزيمة، ذلك أن ما آلت إليه أحوال الأقوام السابقين كان استجابة لسنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، وقد أصابتهم نتائج ما كسبت أيديهم من خير وشر. قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٧-١٣٨].

إن السير في الأرض الذي تأمرنا به الآية، والتوغل في تاريخ الاجتماع البشري هو الذي يقودنا إلى الاهتداء للسنن والقوانين الفاعلة التي شرعها الله في الأنفس والآفاق، ومحاولة تسخيرها والاضطلاع بهذا الفرض الكفائي الغائب (١).

"وليس السير في الأرض الذي أمر الله به إلا وسيلة من وسائل اكتشاف السنن (القوانين المطردة) التي سوف نخضع لها كخضوع سائر الأمم في التاريخ من النهوض والسقوط والتداول الحضاري بسبب من عدم اكتشافها أو بسبب من تجاهلها وعدم البصارة في التعامل معها"(٢).

خصائص السنن الإلهية:

السنن التي أودعها الله الكون(٣) تمتاز بخصائص يجدر بالمسلم أن يدركها

---

(١) حسنة: الشاكلة الثقافية، ص٨٢.

(٢) حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص٧٥.

(٣) في كتابه "سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول" خلص الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات إلى أن السنة=

ويعيها؛ حتى يجني ثمرة العلم بها على الوجه الأكمل، فالعلم بخصائص الشيء وميزاته أدعى إلى حسن استخدامه والاستفادة منه. ونذكر في هذا المبحث خصائص السنن الإلهية؛ لنزداد إحاطة بها، وإدراكا لها، وتتحقق الاستفادة منها:

أولاً: الثبات

ويعني أنها ثابتة لا تتبدل ولا تتحول مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣] . "فلولا ثبات السنن على هذه الشاكلة لما أمكن للبشر أن يسخِّروها أو يستفيدوا منها، ولما كان استخلاف البشر في الأرض ممكناً، إذ كيف يمكن أن يُستخلَفوا في عالم هلامي لا يثبت على حال؟ وكيف يمكن أن يسخَّروا في هذا العالم الذي لا يحكمه قانون ولا تضبطه سنة؟"(١).

ويرى ابن تيمية أن المراد بالتبديل: أن تُبدّل بخلافه، وأن المراد بالتحويل أن تُحوّل من محل إلى محل، وذلك مثل استفزاز الرسول ﷺ من الأرض ليخرجوه

=التي لا تتبدل ولا تتحول هي سنن التاريخ والاجتماع، ومنها سنة الله في نصر أوليائه وخذلان أعدائه، وهذه الحقيقة موضع اتفاق وإجماع عند من تكلموا في هذا الموضوع،أما سنن الكون وطبائع الخلق فهي وإن كانت ثابتة إلا أن الحكمة والمشيئة الإلهية قد تقتضي التغيير والتبديل ، ومن هنا كانت المعجزات خرقاً لهذه القوانين. انظر: فرحات، أحمد حسن: سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، (عمان: دار عمار، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٤٣-٤٥، كما أشار الأستاذ جودت سعيد إلى أن السنن التي يعنيها القرآن هي سنن المجتمع والأنفس وليست سنن الآفاق، انظر: سعيد، جودت: اقرأ وربك الأكرم، (د. م. ن، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(١) كنعان، أحمد محمد: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، سلسلة كتاب الأمة، (الدوحة: قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤١١هـ)، ص٦٨.

منها، فإنهم لا يلبثون خلافه إلا قليلاً، ولا تتحول هذه السنة بأن يكون هو المخرَج وهم اللابثون، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه. وأما أهل المكر السيئ والكفار فلا بد لهم من العقوبة لا يُبدَّلون بها غيرها، ولا تتحول عنهم إلى المؤمنين، وهو وعيد لأهل المكر السيئ أنه لا يحيق إلا بأهله ولن يتبدلوا به خيراً، يتضمن نفياً وإثباتاً، فلهذا نفى عنه التبديل والتحويل⁽¹⁾.

ثانياً: الاطراد

ونعني به أن نتائجها تصدق متى ما وجدت المقدمات، والعواقب تظهر متى ما وجدت الأسباب. وتنشأ هذه الخصيصة من كونها نابعة من صميم الكون، ومرتبطة بفطرة الإنسان، ولذلك فهي تحقق العدل والانضباط في النظام الكوني والتاريخ والبشرية، "فإن أي تأخر أو اهتزاز في نفاذ هذه السنن سوف يؤول إلى تميع الحركة التاريخية، وعدم انضباطها جزائياً، وبالتالي يؤول إلى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل.. ومن أجل أن نطمئن، يبين لنا القرآن في أكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفاذها، وعدم تبدلها أو تحولها، إنها موجودة أساساً في صميم التركيب الكوني، وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم"⁽²⁾.

"فجميع السنن التي فطر الله عليها أمور الخلق قابلة للتكرار والإعادة -بإذن

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: جامع الرسائل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (د. م: مطبعة المدني، د. ط، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص٥٥-٥٦.

(٢) خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص٥٣.

الله- كلما توافرت شروطها، وانتفت الموانع التي تحول دون تحقيقها.. فالمطر يهطل بإذن الله كلما تلبدت الغيوم في السماء وتهيأت الظروف الجوية المواتية، والحجر يسقط إلى الأرض كلما ألقينا به في الفضاء، واليد تحترق كلما لامست النار، والمرض يحصل كلما صادفت الجراثيم جسماً قابلاً للعدوى والمرض.. وهكذا"(١).

وكون هذه السنن مطردة يعطيها طابعاً علمياً، "والقرآن الكريم حين يؤكد على الطابع العلمي للسنن الاجتماعية فإنما يستهدف تربية الإنسان تربية علمية واعية يتعامل في إطارها ومن خلالها مع الظواهر الاجتماعية والأحداث التاريخية"(٢).

ثالثاً: عدم المحاباة أو المصانعة

ويترتب على ثبات السنن واستمراريتها أنها لا تحابي أحداً، ولا تميز بين فرد وفرد أو أمة وأمة لأي سبب من الأسباب، إنها تحقق كمال العدل الجزائي الإلهي الذي يتناسب مع جنس العمل، دون النظر إلى جنس أو دين أو مزايا هذا الفرد أو تلك الأمة.

يقول محمد فريد وجدي(٣) : « هنا مجال لأهواء تتسرب إلى النفوس فتوهمها

---

(١) كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص٧٧.

(٢) عبد الجبار ، محمد : المجتمع : بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني ، (بيروت : دار الأضواء ، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ، ص٥٦.

(٣) وجدي: مهمة الدين الإسلامي في العالم، ص٢٩٩.

بأنها بمنجاة من هذا الإيعاد، وأنها لمجرد انتسابها إلى هذه الجماعة أو تلك تعامل من الله معاملة ممتازة...إلخ، فقضى الله على كل هذه الأوهام بقوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ .

إن كون هذه السنن قوانين مطردة تحكم الحياة والأحياء يقضي بأنها تجري على الناس جميعاً، المؤمن منهم والكافر، ترتبط فيها الأسباب بمسبباتها، وقد جعل الله لكل شيء سبباً (١). "والأمور الدنيوية لا يمنعها الله عن طلابها إذا أتوا البيوت من أبوابها، والتمسوا الرغائب من طرقها وأسبابها، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، وإنما الإيمان شرط للمثوبة في العقبى، وكمال السعادة في الدنيا"(٢). فلا محاباة للمسلمين، فهم خلق من خلق الله، ويجزون وفاقاً بما قدمت أيديهم، فإذا راعوا سنن الله وأدركوها والتزموا بها فازوا بنتائجها، وإذا تنكبوها وأهملوها حاق بهم سوء ما كسبت أيديهم بمقتضى العدل الإلهي المطلق.

ولقد تجلى عدل هذه السنن وثباتها في غزوة أحد، إذ لم يشفع وجود رسول الله ﷺ في تلك الغزوة في تخلف سنة النصر والهزيمة حين خالف الرماة أمر الرسول ﷺ ، فكان الإخلال بشروط سنة النصر الذي أدى إلى هزيمة المسلمين كنتيجة لاستمرارية السنن الإلهية.

---

(١) حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص٧٤.

(٢) رضا، محمد رشيد: وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، المنار، (مصر: مطبعة المنار، المجلد الأول، العدد الحادي والثلاثون، جمادى الآخرة ١٣١٦هـ)، ص٥٩١.

وإذا كانت السنن بثباتها لا تميز بين مؤمن وكافر، فإنها أيضاً "ثابتة ماضية إزاء الجماعات البشرية التي تتنكب عن الطريق، بغض النظر عن حجم هذه الجماعة، وعن مدى دورها الحضاري، ومقدار منجزاتها المادية والأدبية في مقاييس الكم ومعايير المساحات والأجسام"⁽¹⁾.

رابعاً: الشمول والعموم

فكما تشمل النواميس الكونية جميع الظواهر الطبيعية، كذلك تنضبط المجتمعات البشرية والأحياء بسنن الله الاجتماعية والتاريخية، وذلك حتى لا يتحول الوجود إلى فوضى واضطراب يؤدي إلى فنائه. "والإنسان محكوم بهذه السنة في حياته، محكوم بسنة التنفس ليحيا، وسنة الطعام ليعيش، وسنة الزواج ليمتد، لا يستطيع أن يوقف حركة دمه، ولا دقات قلبه"⁽²⁾، هذه السنة هي قانون الله الذي يسلم له الكون طوعاً وكرهاً، ويذعن له كل شيء وكل حي رضي أم لم يرض، من أكبر سيارة في السماء، إلى أصغر ذرة في الإنسان ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾⁽³⁾. وهي عامة لا تتعرض للجزئيات والتفصيليات، فهي تعطي مبادئ عامة لحركة الكون والتاريخ، وتوفر هذه

---

(1) خضر، عبد العليم عبد الرحمن: المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1414هـ/ 1993م)، ص275.

(2) محمد، يوسف كمال: فلسفة التاريخ كما يبينها القرآن، المسلم المعاصر، (بيروت: مؤسسة المسلم المعاصر، السنة الأولى، العدد الثالث، رجب 1395هـ/ تموز 1975م)، ص26.

(3) محمد: فلسفة التاريخ كما يبينها القرآن، ص26. والآية من سورة آل عمران، 83.

الخصيصة الفرصة لانضمام أكبر قدر من المفردات والأحداث تحتها، فهي "لا تأسر نفسها في تفاصيل وجزئيات موقوتة، بل تمتد وتمتد مرنة منفتحة شاملة، لكي تضم أكبر عدد من التفاصيل والجزئيات، وتبقى دائماً الحصيلة النهائية، والرموز المكثفة، والدلالات الكبرى لحركة التاريخ"(١). وإدراك هذه الخصائص التي تمتاز بها السنن الإلهية مما يساعد على سهولة إدراكها، وحسن الاستفادة منها.

---

(١) خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ص٥٣.

خاتمة البحث ونتائجه

نخلص إلى القول بأنّ الله ﷻ قد خلق هذا الكون وما فيه وفق نظام معيّن، وجعل فيه قوانين ثابتة تسير عليها الأمم والجماعات، وبها تحقق عزها ومجدها أو ذلّها وهوانها بناء على مدى إدراك تلك القوانين والنّواميس المسخَّرة في هذا الكون وحسن اتّباعها؛ لأنه لولا تلك السنن والقوانين لكانت الحياة نوعا من العبث، وصوراً من اللعب والانفلات وانعدام الأهداف، ولاستوى العالم والجاهل فيها، فضلا عن استواء الحق والباطل، وهذا محال!

والمتأمّل لكتاب الله يرى أنه قد حفل بالعديد من الآيات التي تتحدّث عن تلك السُّنن الإلهية بصورة تدعو إلى البحث عن معانيها وأسرارها، ومحاولة إدراكها بوجه يؤدي إلى حسن الاستفادة منها في أداء طاعة الله تعالى، وفي تحمل المسؤوليات للقيام بعمارة الأرض والاستخلاف فيها على أحسن وجه، ولا يتأتى ذلك إلا باستقراء أحوال الحضارات السابقة في النهوض والركود والملاحظة والمشاهدة والتأمل والمقايسة، ومن ثم حسن التعامل مع تلك السنن أو القوانين الإلهية التي لا تتغير بتغير الأمم والأزمان والأحوال؛ لأن ثباتها نابع من عدل الله سبحانه وتعالى في ترتيب الجزاء على جنس العمل، وفي ربط النتائج بالأسباب والوسائل، ويستوي في ذلك المؤمن والكافر، ولا يتوقف الأمر إلا على مدى إدراك تلك السنن الإلهية ومحاولة الاستفادة منها في تحقيق التمكين في هذه الأرض، وحسن العاقبة﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الفتح:٢٣] .

وأخيراً ، نجمل أهم نتائج البحث في الآتي:

ضرورة الاهتمام بدراسة سنن الله في الكون والوعي بها؛ لما لها من أهمية في عزة الأمة وكرامتها، وحفظ كيانها من الاضطراب، وللاعتبار بمصائر الأمم السابقة التي أشار إليها القرآن الكريم. كما أن فقه السنن الإلهية يقود الأمة إلى حسن التخطيط للمستقبل والتسخير لما في الكون لأداء مسؤولية الخلافة التي أمر الله بها، ويعطي القدرة على توقي المفاجآت اعتماداً على ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج.

العلم بالسنن الإلهية أحد الفروض الكفائية على الأمة الإسلامية، وهو بحاجة إلى تأصيل ودراسة واعية من خلال المؤسسات ومراكز البحوث المتخصصة.

الدراسة الموضوعية للسنن الإلهية تؤكد أنها سنن ربّانية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول بتبدل الأمم والأماكن والأزمان، وهي مطردة، فالمقدمات تقود إلى النتائج. كما أنها عادلة؛ فلا تحابي أحداً، مسلماً كان أم كافراً. وهي شاملة للكون والأحياء، ولكنها سنن عامة كلية لا تتعرض للجزئيات والتفصيلات.

مفهوم السّنة لغة يلتقي مع مفهومها الاصطلاحي في دلالتها على جريان الشيء أو الحكم أو التصرف على طريقة واحدة معتادة.

سنن الله في الكون ليست سرًّا من الأسرار، أو لغزا من الألغاز تختص به طائفة دون أخرى، وإنما هي عادات جارية، وقوانين ثابتة مبثوثة في مصادرها الأساسية، وهي: الوحي الإلهي، والتاريخ، والسّير في الأرض والنظر في مصائر الأمم السابقة، ويمكن أن يدركها كلّ من نظر في تلك المصادر وتأمّل فيها.

مراجع البحث

- **القرآن الكريم**

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (المكتبة الشاملة).

- أبو منير: سنة الله في نصرة عباده المؤمنين، **حضارة الإسلام**، (دمشق، السنة التاسعة عشرة، العدد السادس، شعبان ١٣٩٨هـ/ آب ١٩٧٨م).

- الأصفهاني، حسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د. ط. ت).

- الأفغاني، جمال الدين، عبده، محمد: **العروة الوثقى**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط. ت).

- الألوسي، محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، **معالم التنْزيل**، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **جامع الرسائل**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (د. م: مطبعة المدني، د. ط، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

- ابن حنبل، أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، (د. م. ن. ط. ت).

- ابن فارس، أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

- ابن كثير، إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**، صححه فضيلة الشيخ خليل الميس، (بيروت:

دار القلم، ط٢، د. ت).

- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

- البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي: **أنوار التنْزيل وأسرار التأويل**، (بيروت:دار الفكر،د.ط.ت).

- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (بيروت: مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، د. ط. ت).

- حسنة، عمر عبيد: **حتى يتحقق الشهود الحضاري**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

- حسنة ، عمر عبيد: **من فقه التغير: ملامح من المنهج النبوي**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

- حسنة، عمر عبيد: **الشاكلة الثقافية: مساهمة في إعادة البناء**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٨٥.

- خضر، عبد العليم عبد الرحمن: **المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ**، (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

- خليل، عماد الدين: **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**، سلسلة كتاب الأمة، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤٠٢هـ).

- رضا، محمد رشيد: **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، المنار**، (مصر: مطبعة المنار، المجلد الأول، العدد الحادي والثلاثون، جمادى الآخرة ١٣١٦هـ).

- السامرائي، نعمان عبد الرزاق: **في التفسير الإسلامي للتاريخ**، (الزرقاء: مكتبة المنار، ط١، ١٩٨٥م).

- سعيد، جودت: **اقرأ وربك الأكرم**، (د. م. ن، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

- الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت).

- شرارة، عبد اللطيف: **الفكر التاريخي في الإسلام**، (بيروت: دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٣م).

- الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٧م).

- طهماز، عبد الحميد محمود: **أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف**، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

- عبد الجبار، محمد: **المجتمع: بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني**، (بيروت: دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة ، د. ط. ت).

- فرحات، أحمد حسن: **سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول**، (عمان: دار عمار، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

- القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٩٩٣م).

- كنعان، أحمد محمد: **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**، سلسلة كتاب الأمة، (الدوحة: قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤١١هـ).

- محمد، يوسف كمال: **فلسفة التاريخ كما يبينها القرآن**، **المسلم المعاصر**، (بيروت: مؤسسة المسلم المعاصر، السنة الأولى، العدد الثالث، رجب ١٣٩٥هـ/ تموز ١٩٧٥م).

- وجدي، محمد فريد: **مهمة الدين الإسلامي في العالم: دعوته إلى تعرف السنن الإلهية في**

الجماعات البشرية، مجلة الأزهر، (القاهرة: مطبعة الأزهر، السنة السادسة، الجزء الخامس، ١٣٥٤هـ).

- الوزير، إبراهيم بن علي: **على مشارف القرن الخامس عشر الهجري: دراسة للسنن الإلهية والمجتمع المعاصر**، (بيروت، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

فهرس الموضوعات

الملخص ٦٩

المقدّمة ٧٠

المبحث الأول

تعريف السُّنّة لغة، ومعانيها في القرآن الكريم

معنى السُّنَّة لغة ٧١

مفهوم السّنّة ومعانيها في القرآن الكريم ٧٢

المبحث الثاني

أهمية إدراك السنن الإلهية، ومصادر الكشف عنها وخصائصها

أهمية إدراك السنن الإلهية ٨١

مصادر الكشف عن السّنن الإلهية ٩٢

خصائص السنن الإلهية ٩٥

خاتمة البحث ونتائجه ١٠٢

فهرس المراجع ١٠٤

فهرس الموضوعات ١٠٨